صمود أم سورية

صمود أم سورية

في قلب الحرب، تقف الأم السورية كصخرة صامدة

تحمل بين ذراعيها أحلام أطفالها وتقودهم نحو غدٍ أفضل.

طفولتي

في حي المرجة وسط مدينة حلب كنا نسكن في بيت متواضع، كنت أكبر اخوتي العشرة لذا كنت مثل أمهم لا أذكر من طفولتي سوى بيتنا الفقير والهم الذي تحملته وانا بعمر السادسة حتى وأنا أرى أبي وأمي يبكون من الفقر وضيق الحال رغم أنهم كانوا يعملون بكد، فأبي يعمل في بخ السيارات وأمي خياطة لكن كان الوضع صعباً جداً ونحن نرى بيت جدي الذين يسكنون فوقنا وأخوة وأخوات أبي الذين ينعمون بحال جيدة ولكنا محرمون.

لا أذكر من طفولتي سوى بعض بنات الجيران وبعض أصدقاء المدرسة، حتى في مدرستي كنت اساعد آنسة المدرسة وكأني كبيرة منذ طفولتي ومستعدة لحمل المسؤولية والهم ، حتى مرحلة الدراسة لم تطل كثيراً فقد تركت مدرستي بعد أربع سنين فقط من دراستي، هذه هي طفولتي لا أذكر يوماً جميلاً حتى الأعياد لم تكن سعيدة في تلك الحالة المادية التي كنا نعيشها، وخصوصاً وأنا أرى ظلم بيت جدي لأبي، فجدي كان يأخذ أجرة منزلنا المتواضع من أبي، ودكان جدي كانت شبة محرمة علينا لنأخذ ما يلزم لبيتنا.

الأم الطفلة

في عمر الرابعة عشر في سنة 2000 تزوجت من ابن عمي الذي يكبرني بأحد عشر سنة، في داخلي كنت أشعر أني طفلة وأشعر بفارق الوعي بيني وبين زوجي ورُزِقت بالأطفال، كنت أبكي مع أطفالي عندما يبكون لأني لا أعرف ما أصنع، وانتقلت لحياة شبيهة بحياتي عند أهلي فقد كنا نسكن في بيت أهل زوجي وكان عددهم كبيراً وزوجي أيضاً كان فقيراً ولا يستطيع أن يقدم إلا القليل، وكان انزعاج أهله من وضعه يشملني فقد كانوا يسيئون معاملتي بسبب وضع زوجي، بعد ست سنوات صار عندي اربع أطفال انتقلنا للعيش في منزل متواضع جداً، لكن شعرت بالاستقلالية فكنت فيما قبل مُحاسبةً على أي شيء (أكلي – نومي – ثيابي ...وكل شيء)بقينا ما يقارب الأربع سنوات ورُزِقت بطفلين فيه بعدها انتقلت للعيش في غرفة كانت على التراب من أرض استدنا ثمنها لتعمير مستودعات فيها وتأجيرها، وكنت حاملاً بابني محمود الذي ولدته أثناء الحرب في الشهر العاشر 2011.

* * * * *

الحرب

عندما بدأت الثورة والمظاهرات لم نعرف ما نفعل وبدأ القمع ، بعد فترة قصيرة استولى الجيش الحر على المنطقة وصار النظام يقصف بالطيران على الحي فعشنا رعباً بشكل كبير، وكان عمر محمود خمس أشهر، لذلك قررنا النزوح من المنطقة إلى مكان أكثر أمناً.

رحلة النزوح التي لم تنته

في الشهر الرابع من عام 2012 خرجنا إلى قرية جانب السفيرة اسمها تل سات أنا وعائلتي وعائلة زوجي أي أمه وأخوته، كانت حياة صعبة جداً فقد كنا ثلاث عوائل في غرفة لها سقف من النايلون والقرميد الذي لا يحمي من حر ولا برد، وكنا نعيش نقصاً في كل شيء فالماء غير متوفر وكنت أذهب لمعمل عمي كي أخذ ماءً غير صالح للشرب فحتى الكلب أعزكم الله لم يكن يرضى بالشرب منه، كنت أستخدمه ليستحم أولادي به ولأغسل الثياب فقط، حتى الخبز لم يكن متوفراً وكان يباع في القرى المجاورة بأربعة أضعاف، وحتى الرجال الذين كانوا يذهبون للعمل في حلب أو لإحضار شيء للأكل والشرب تم إمساكهم على حاجز النظام وضربهم ومنعوهم من مغادرة القرية، وبقاؤنا كلنا مع الرجال في نفس الغرفة زاد الطين بلة فكثرت المشاكل بين زوجي وأخوانه وبين أبي الذي طالب بالميراث فانعكس ذلك أيضاً على تعاملهم معي ومع أطفالي، وفي خضم كل هذا لاأنسى الرعب الذي كنا نعيشه يومياً فمع أذان الفجر كانت طائرات النظام تحلق في القرية بسرعة كبيرة على ارتفاع منخفض وتخرق جدار الصوت ، فيخرج الناس جميعاً ليركضوا في الأراضي الزراعية الكبار والنساء والأطفال كلهم يركضون بحثاً عن أمان، ولدى سؤال مختار الضيعة لقوات النظام عن سبب فعلهم لذلك كان جوابهم: أننا نفعل ذلك لنتسلى ونضحك على منظركم وأنتم تركضون نساءً ورجالاً وأطفالاً في الأراضي الزراعية، وحتى ذهابنا لحلب لنحضر بعض الأغراض كانت رحلة مليئة بالرعب، فالقناص يستهدف الناس في السرفيس وقد قُتل أشخاص معنا في الحافلة بضربات القناص ولم نكن نستطيع فعل شيء، ولا حتى إسعاف المصاب، لكن السائق كان يستعجل كي لا يصاب أحد آخر، فقط هذا ما نستطيع فعله.

بسبب سوء الوضع قلت لزوجي: لماذا لا نرجع لبيتنا فالحال هنا كما الحال هناك، لكن على الأقل نحن في بيتنا، لم يتبق في القرية وقتها سوى أنا حيث خرج أخوة زوجي إما إلى المخيمات أو أماكن أخرى، سبع شهور قضيتها في القرية وكنت حاملاً بطفلي عمر في الشهر السابع وقت عودتنا.

عودة مؤقتة

رجعت لبيتي أنا وأطفالي الثمانية وبعد شهرين ولدت بطفلي وكان الوضع سيئاً جداً حيث ازداد قصف الطيران بشكل كبير وحتى القصف الصاروخي من مطار النيرب الذي كان قريباً منا، كنت اسمع صوت الصواريـخ والقصف ولا أعرف سينزل علينا أم لا، عاش أطفالي برعب كبير حيث كانوا يختبئون في زاوية الغرفة وكنت أختبئ معهم وأنا بحجابي الذي لا أخلعه أبداً فلا أحد يعرف ما سيجري، زاد الرعب والقصف كثيراً وانقطعت الماء والكهرباء أيضاً ولم يبق أي شيء من مقومات الحياة بل لمقومات الموت أقرب

* * * * *

.

الأمان المشروط

بعد سوء الأوضاع في حلب اقترحت على زوجي أن نذهب لمخيم باب السلامة، فأخته كانت هناك وعلى الأقل نعيش بأمان ولو في خيمة، ذهبت هناك لم يكن زوجي يريد أن يذهب وتركنا وحدنا وعاد هو لحلب، كانت حياة صعبة جداً علينا ، صحيح أننا شعرنا بالأمان لكن تأمين الطعام والشراب كان مشكلة بالنسبة لي، فبالرغم من فقري لكني كنت أستصعب جداً الوقوف في دور للحصول على طعام وشراب وكنت أبعث أطفالي أحيانا وأبقى ليومين أو ثلاثة دون طعام، في هذه الأثناء كان زوجي يمر بنا كل أسبوعين أو ثلاثة ويحضر لنا بعض الطعام والشراب، بقينا مدة خمس شـهور على هذه الحـال ومرض ابني محمـود بشـدة وأصيب بذات الرئة حيث صار يسعل بشدة حتى يغمى عليه.

أخذته للطبابة هناك فقالوا لي: لا بد من تحاليل وصور ويجب أن أذهب، لمناطق النظام في حلب كي أجري له الفحوصات اللازمة، فقد كان ضعيفاً جداً وعروقه نافرة، فقلت لهم أن الوضع خطير جداً ويوجد قناصين على الطريق فقالوا: لابد من ذلك، خاطرنا بكل شيء وأخذنا الطفل للطبيب في حلب ولكن دون جدوى فلا بد من التحاليل والصور، عدتُ للمخيم فقالوا لي أن هناك لجنة طبية تأتي لفحص الحالات المستعجلة لتحويلهم إلى تركيا، رفض زوجي ذلك في البداية فكيف أذهب لبلد غريب ليس لي فيه أحد، فجاوبته: أني هنا وحيدة وأشعر باليتم، ليس لي أحد لا من أهلي ولا من بيت حمايي وحتى أنت تأتِ لزيارتنا كل فترة من الزمن.

جاءت لجنة طبية لفحص الحالات الخطيرة والمزمنة وعند فحص محمود عرضوا علي فوراً نقله لتركيا وفي اليوم التالي صباحاً دخلنا لتركيا بعد خمس شهور في مخيم باب السلامة.

* * * * *

إلى تركيا

في الشهر العاشر من عام 2013 دخلنا لمخيم كلس وبقينا فيه خمس سنوات، فبعد أخذ محمود للمستوصف تم إحالتنا لمشفى عنتاب، أخذه زوجي ولم يعرف أين المشفى وضاع هناك، ولكن الحمد لله تحسن ابني تلقائياً ، كان الوضع جيداً في المخيم ولكن كان هناك صعوبات مثل منع الخروج من المخيم ومن خرج يعتبر فراري ولا يستطيع الدخول مرة أخرى ، وجلوس الأزواج طوال الوقت في الكرفانات خلق توتراً ومشاكل بين الأزواج.

بعدها قررنا الذهاب لعنتاب من أجل تحسين وضعنا بدل العيش على المساعدات فقط، فزوجي الذي يعمل كمصلح تلفزيونات وابني الأكبر علي كانا يعملان بجد كي يسدوا رمق العيش مع كرت المساعدة، حتى أنا حضرت كورسات بغرض الفائدة، فكل أولادي الآن يذهبون للدراسة فعندي 7 أطفال من الروضة حتى الصف الحادي عشر، فالحياة في تركيا صعبة فعائق اللغة موجود ويجب عليك السعي لتأمين كل احتياجاتك.

أما الزلزال فقد حسبته ابتداءً يوم القيامة، ثم عرفت أنه زلزال، عشنا فترة في الحدائق ثم عدنا لمنزلنا القديم الذي تم تقييمه أنه لا يجب السكن فيه بسبب وضعه الخطر، والآن نحاول أن ننتقل لمنزل آخر ونعيش مصاعب تثبيت النفوس والعنوان وما إلى ذلك.

أما عن مركز العائلة فقد ساعدني جداً حيث رأيت أناساً تهتم حقيقة لأمري وتستمع لهمومي وهذا ساعدني كثيرا.

أما عن وطني سوريا فعدالتي أن أعود إليه لكن بلا نظام وأتباعه، حتى لو عشت في الفقر لكن هذا وطني.

أما عن سورية الآن فهي لم تعد لنا حتى الذين يعيشون فيها يقولون أنها لم تعد بلدنا فإيران تنتشر فيها ويقومون بطقوسهم وما يحلو لهم فعله فحتى الذين في الوطن لا يشعرون أنهم فيه.

وللعالم والدول العربية أقول: اشعروا بنا وبما نعانيه فأنتم أخوتنا.